بنية الجملة في اللغة العربية

عبد الحميد مصطفى السيد

قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن

ملخـــص

عرض البحث لبنية الجملة العربية، فانطلق من تحديد مفهومها باعتبار الإسناد، ثم حاول أن يضـــع تصورا لبنيتها معتمدا أنظار النحاة، ومفيدا من الاتجاهات اللسانية الحديثة؛ فرأى أن المسند والمسند إليه يكونان (البنية الأساسية) لها، والجملة في هذه البنية " مطلقة " مجردة من أي ارتباطات أو علاقات نحويـــة أخـــرى، ثم يتسع مداها بما تمد به من عناصر تشكل (البنية الوظيفية)، والجملة في هذه البنية " مقيدة " بحكـــم تضمنـــها عناصر بينها علاقات تمثل وظائف مختلفة عرض البحث لها فصنفها وفق أبعادها الدلالية إلى : تركيبية ودلاليـــة وتداولية . ثم وقف البحث عند الجملة المركبة، فوسائل الربط في الجملة، فظواهر نظمها؛ وانتهى إلى عـــرض موجز يبين المحاور الرئيسة التي تكون بنية الجملة، مقررا أنها بنية ليست شكلية، بل هي بنية تجمع بين ضوابـــط لغوية وأخرى غير لغوية تحقق لها الشمولية والتجدد.

Abstract

The paper studies the structure of the Arabic sentence. It starts with determining its meaning through *Isnad*, and proceeds to form a conception of its structure based on the views of the grammarians and modern linguists. It emphasizes the subject and the predicate form as the basic structure of the sentence and that the sentence in this structure is "infinite or unrestricted "; free from any connections or syntactical associations. Subsequently, the range of the structure widens through the elements that form the functional structure; the sentence in this structure is restricted by including elements linked by various functions. The paper has classified these elements according to their structural, semantical, and pragmatical dimensions.

The paper also tackles the complex sentence, the means of links in the sentence, and the various ways of composing the sentence. It concludes with a brief presentation that shows the major elements that form the sentence structure. It Proposes that this structure is not nominal (formal), but combines linguistic and nonlinguistic elements that achieve comprehensiveness and regeneration to the sentence.

مـــدخل:

تعد الجملة من أهم المكونات الأساسية للغة، بل تكاد تكون اللبنة التي قامت عليها كثير مـــن الأنظـــار اللسانية الحديثة، وترجع هذه الأهمية إلى كونها وحدة تركيبية تتخذها كل دراسة نحويـــة منطلقـــاً للوصـــف والتقعيد، وتجعل من أهم أهدافها وصف بنيتها المجردة، وما يتخرج على هذه البنية من أنماط جزئية، وما يرتبـط بكل نمط من دلالات ومقاصد وضوابط تتحكم في الأبنية المكونة ووظائفها داخل نسيجها .

وقد أولى النحاة، قدماؤهم ومحدثوهم، الجملة اهتمامهم ؛ فقد درس القدماء، منذ سيبويه (١٨٠ هـــ)، أنماطها وطريقة بنائها، كما تعرضوا، وهم يصنفون التراكيب في العربية ويحللون هيئة النظم فيها، لجانب كبـير من ضوابط تشكيلها ورسم بنيتها التركيبية والدلالية، بل إنهم ربطوا بين مظاهر مخصوصة في نظمها وضوابـط تحكمها وتسوغها، كالزيادة في بنيتها، والتقديم والتأخير والحذف ... ولئن جاءت هذه الدراسة موزعة علـــى الأبواب المختلفة التي تمثل الوظائف النحوية، فلأن ذلك ينسجم مع منهجهم العام (١)، وهو منـــهج تحليلـــي غايته فهم اللغة وأبعادها المتنوعة وتحليلاتها المختلفة، ولا يملك المتأمل في أعمال ابن هشام الأنصـــاري (٧٦١ هـــ) في درس الجملة (٢) إلا أن يعتقد أنه كان يصدر في تحليلاته عن الأصول والمبادئ التي كان يصدر عنـها النحاة في تحليلاتهم، فقد كانوا يضمرون أصولهم ويسترشدون بروحها، ولا يبقى إلا أن يعاد تركيب معطيـلتهم حسب ؛ لتتضح أسس النظرية وضوابطها المنهجية .

وتابع المحدثون دراسة الجملة متأثرين بالأنظار اللسانية الحديثة، على اختلاف منطلقاتها واتجاهاتها، مـــن : بنيوية ووصفية وتحويلية ووظيفية؛ بغية الإفادة منها في وصف الجملة العربية ؛ فسجلوا ملاحظـــات مفيـــدة، بمقادير متفاوتة، إلا أنها ليست كافية؛ فقد سيطر على كثير منها أنظار وفرضيات لا تتواءم وطبيعة العربيـــة ومنطقها .

إننا نطمح في هذه الدراسة إلى تقديم وصف للجملة العربية نستلُّه من التراث النحوي العربي المتمثـــل في أعمال النحاة وممارسات المفسرين والبلاغيين، وهي جهود لا يمكن أن نغض عنها النـــظر ونحن نروم وصـــف العربية، ويظل استثمار المعطيات الحديثة مطلباً ضرورياً وطريقةً من طرق البحـــث مشـــروعة، نفيـــد منـــها ونستضيء بها فيما نؤصل ونشيد .

ونصدر في هذه الدراسة عن قناعة ترسخت بعد طول إلف بالنحو العربي ومنطلقاته، تتمثل في :

- أن النموذج النحوي العربي ذو كفاية تفسيرية كبيرة، وأن عدم تصريح القدماء بالأصول والمبادىء النظرية في أعمالهم ؛ لا يعني خلو تلك الأعمال من أبعاد وتصورات نظرية انبنت عليها تحليلاتهم ؛ فاستمرار النظر في جهودهم مطلب مهم للوصول إلى هذه المبادىء .
- أن النموذج العربي احتفظ بالتنوع في منطلقاته ؛ فبنيته ليست ثابتة ذات طبيعة تركيبية صارمة، بل هي بنية تقوم على ضوابط وأصول نحوية وأخرى غير نحوية تحقق للنموذج الشمولية والتجدد.

حد الجملة:

لقد تعددت الآراء في تعريف الجملة بسبب تعدد المعايير (٣) التي استند إليها، قديما وحديثا، منذ أفلاطون (٣٤٧ ق.م) حتى عصرنا الحاضر ؛ مما أدى إلى ما لا يحصى من التعريفات (٤).

ومن يتتبع مصطلح " الجملة " في التراث النحوي يجد أن هذا المصطلح كان يختلط بمصطلح " الكلام " عند المتقدمين ؛ فسيبويه (١٨٠ هـ) في كتابه لم يستخدم مصطلح " الجملة " على نحو ما استخدمه لاحقوه، وقد تردد في مواضع كثيرة من كتابه مصطلح " الكلام " بمعان مختلفة ؛ فهو يستخدمه بمعنى " النثر " وبمعنى " اللغة " وبمعنى " الجملة (٥)، ولعل أول من استخدم مصطلح " الجملة " المبرد (٢٨٥ هـ)، غير أنه يسويه بمصطلح الكلام (٦) .

ونلمح لدى النحاة الذين جاءوا بعد القرن الرابع الهجري اتجاهين في الفصل بين هذين المصطلحين:

الأول : يرى أن الكلام والجملة مترادفان، وأنهما يؤديان معنى مفيدا يحسن السكوت عليه، وإلى هذا ذهب الجرجاني (٤٧١ هـ) في جمله (٧)، والزمخشري (٥٣٨ هـ) في مفصله (٨) .

والثاني : يرى أن الكلام غير الجملة، وأبرز من يمثل هذا الاتجاه رضي الدين الاستراباذي (٦٨٦هـ) الذي يرى أن الجملة ما تضمنت الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي، وكان مقصودا لذاته (٩)، ويتضح ذلك من المثالين التاليين :

١- زيد يكرم جاره ـــــ كلام

٢- يكرم جاره ـــــ جملة

وقد تبع ابن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ) الرضي، وعرف الكلام بأنه " القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه " وعرف الجملة بأنها " عبارة عن الفعل والفاعل ... والمبتدأ والخبر" (١٠) .

ولا شك أن إقامة حد الجملة على الإسناد الأصلي مفيد في تحليلها ودراسة العلاقات بين عناصرها ؛ لأنه يقيمها على أساس نحوي ثابت (١١) بوصفها بنية تركيبية أو نواة (من المسند والمسند إليه)ضمن بنية أكبر تتشكل وتتكون بسبب ما يطرأ عليها من حالات تركيبية تكون الكلام، و بذا تكون هذه البنية هي وحدة الكلام وقاعدة الحديث، على حد قول ابن جني (١٢) .

ولعل هذا هو الذي جعل النحاة القدماء ينظرون إلى المسند والمسند إليه بأنهما عماد الجملة، ويطلقون عليهما مصطلح " **العمد** " ؛ لأن توافرهما شرط كاف لقيام الجملة التي بنى النحويون عليها تحليلهم، وفي هذا يقول سيبويه : " هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ... " (١٣) .

وهذا ما جعلهم ينظرون إلى ما عدا هذين الركنين بأنه فضلة يستقل الكلام دونها .والجملة باعتبار الإسناد معيارا لحدها يجعلها تحافظ على استقلالها البنيوي إذا صارت جزءا من بنية أكبر منها، ومثال ذلك قوله تعالى : { فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم } المائدة:٥٤.

فالجمل في الآية :

- **فسوف يأتي الله بقوم .** – **يحبهم .**
- **ويحبونه .** – **يجاهدون في سبيل الله .**
- **ولا يخافون لومة لائم .**

وكل من حافظ على استقلاله رغم ارتباطه بالمعنى العام .

لقد كان المعيار الدلالي هو السائد في حد الجملة في النحو الغربي التقليدي (Traditional Grammar) حتى العصر الحديث، والجملة فيه " نسق من الكلمات يؤدي فكرة تامة " (١٤) .

وأوضح دلالة على ضعف هذا المعيار أن الجمل السابقة تعد جملة واحدة بمفهوم هذا النحو ؛ لأنها تؤدي فكرة تامة .

فإذا انتقلنا إلى مفهوم الجملة لدى البنيويين (١٥) وجدنا بلومفيلد (L.Bloomfield) يحدد الجملة بأنها " الصيغة اللسانية المستقلة بحيث تؤدي وظيفتها دون توقف على صيغة تركيبية تشملها " (١٦) . ورغم أن البنيويين أعطوا الشكل أهمية أقاموا عليه حد الجملة، إلا أنهم رجعوا عند تحديد عناصر الجملة إلى مفهوم الإسناد، وقرنوا وجود الملفوظ الأدنى بتوفر النواة الإسنادية (١٧)، فعند تحليلهم جملة من نحو :

الطالب المجد فاز بالجائزة .

إلى مكوناتها المباشرة، فإنهم يقسمونها إلى مكونين :

١- الطالب المجد .

٢- فاز بالجائزة .

وهذا يدل، أيضا، على تمسكهم بالدلالة، وإن أسقطوها ظاهرا .

أما التحوياليون فالجمل عندهم قرن يحصل على نحو خاص بين البنية السطحية والبنية العميقة(١٨)، أما الوظيفيون فيولون جل عنايتهم لوظائف مكونات الجملة .

تصنيف الجملة:

لقد صنفت الجملة في العربية، بناء على فكرة الإسناد، إلى نوعين رئيسين :

الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر)، **والجملة الفعلية** (الفعل والفاعل)، وقد أضاف الزمخشري الجملة الشرطية، وزاد ابن هشام الجملة الظرفية، وهي المصدرة بظرف أو جار أو مجرور (١٩) والحق أنه يمكن رد القسمين الأخيرين إلى النوعين الرئيسين ؛ وفي هذا يقول ابن يعيش (٢٠) : " ... وهي في الحقيقة ضربان : فعلية واسمية؛ لأن الشرطية، في التحقيق، مركبة من جملتين فعليتين : الشرط فعل وفاعل، والجزاء فعل وفاعل، والظرف في الحقيقة للخبر الذي هو : استقر "

وقد اعتد النحاة في تحديد نوع الجملة بصدرها، والمراد بالصدر المسند والمسند إليه، ولا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف (٢١) ؛ فالجملة من نحو :

-كيف جاء زيد ؟

-{ فأي آيات الله تنكرون } غافر:٨١

فعلية ؛ لأن المعتبر " ما هو صدر في الأصل " ولأن هذه الأسماء المصدرة في نية التأخير، وكذا الجمل في نحو :

-يا عبد الله

-{ وإن أحد من المشركين استجارك } التوبة :٦

- { والأنعام خلقها } النحل :٥

- { والليل إذا يغشى } الليل :١

لأن صدورها في الأصل أفعال، والتقدير: أدعو عبد الله، وإن استجارك أحد، وخلق الأنعام، وأقسم بالليل (٢٢) ولا يعد بعض المحدثين : النداء والتعجب وجملة نعم وبئس ؛ جملا فعلية " لمجرد تأويل النحاة لها بعبارات فعلية " (٢٣) وجعلوها قسما برأسه سموه : الجمل غير الإسنادية أو ذات الركن الواحد أو الموجزة أو الناقصة ؛ والذي حملهم على ذلك تفادي القول بالتقدير ليلتقوا مع مايتبنون من أنظار نادت بها مدرسة التحليل الشكلي التي تقوم على وصف

الظاهر الذي لا يقوى على تفسير الجانب العميق للتراكيب، وليس التأويل والتقدير اللذان رفضهما هؤلاء إلا ضبطا للعلاقة بين فرع ظاهر وأصل تنتظم فيه بنية التركيب (٢٤) ؛ لأن بنية الجملة أو تركيبها لا تعطينا دائما كل شيء عن العلاقات النحوية (٢٥)، وهذا الأساس المزدوج الذي أدركه النحاة القائم على اعتبار بنيتين : سطحية، وعميقة ؛ هو الأساس نفسه الذي ينادى به التحويليون ؛ وهذا يثبت صدق معيار النحاة القدامى " ما هو صدر في الأصل " وأصالته .

واختلف في الجملة من نحو :

زيد قام

أي الجملة المبدوءة باسم متبوع بفعل ؛ إذ عدها البصريون اسمية، وعدها الكوفيون فعلية تقدم فيها الفاعل، واختلف فيها المحدثون أيضا (٢٦) ؛ والواقع أن : زيد قام، وقام زيد، جملتان تفترقان بنية، فالأولى تمثله البنية(٢٧) :

م إ + م

والثانية تمثله :

م + م إ

ودلالة ؛ فـ (زيد قام) المراد بها تنبيه السامع إلى أن الذي قام هو (زيد) لا غيره، و (قام زيد) المراد بها الإخبار عن قيامه إخبارا محضا، ولا يخالطه شيء غيره . وعلى هذا فالتفريق بين النمطين ينطلق من معايير تداولية وظيفية دقيقة لتحديد المعنى (٢٨)، كما أن الدليل على أنهما نمطان مختلفان هو أن الوظائف في النحو العربي تجيء على مستويين : مفرد وجملة، فقولنا : زيد قام، اسمية وقعت فيه الجملة (قام) موقع الخبر، في حين أن قام زيد، جملة فعلية . وقد بحث القدامى الفروق الدلالية والوظيفية التي تدل عليها هذه التراكيب، وبخاصة البلاغيون والمفسرون والفقهاء .

ويعرض المحدثون لجمل اسمية من نحو (٢٩) :

-الهرم مرتفع. **-السفر صباحا.**

-في الدار رجل. **-زيد أستاذ.**

أي الجمل التي لا يظهر فعل في بنيتها السطحية، فيقدرون فعلا سموه " الرابطة " وقدروه بالفعل الناقص " كان "، وهو مزود بسمة الجهة والزمن، وأطلقوا على هذه الجمل : الجمل الرابطية، أو الكونية، والاسم المرفوع، في الجمل السابقة، يعدونه فاعلا للرابطة المقدرة في بنية الجملة العميقة، ففي الجملة : الهرم

مرتفع، فإن (الهرم) عندهم فاعل للرابط (كان) ؛ إذ إن التقدير عندهم أيضا: كان الهـــرم مرتفعـــا(٣٠). والنظر إلى الرابط (كان)، في مثل ما قدروا، على أنه فعل يأخذ فاعلا أمر غير دقيق ؛ لأن المرء لا يستشعر في هذا الفعل المقدر ما يستشعره في عامة الأفعال من دلالة على الحدث (٣١)، أما نحاتنا فقد جعلوا لكان فـــاعلا حسب إذا كانت بمعنى : حدث أو حصل أو وحد ؛ نحو قوله تعالى :{ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة} البقرة : ٢٨٠، أي:إن وجد وحدث ... وهو الحق.

والذي حمل بعض المحدثين على تقدير الرابط (٣٢) هو توحيد نمطي الجملة في العربيـــة، الاسميـــة والفعلية، في نمط واحد هو الفعلية فقط ؛ لأن القول بوجود نمطين مختلفين للجمل في العربية يضع العربيـــة، في اعتقادهم ووفق ما تبنوا من أنظار غربية أرادوا أن يجعلوها بدائل لبعض أصول النحاة القدامى، في مصـــاف اللغات غير الطبيعية أو المعقدة التي تختلف عن اللغات الطبيعية التي تقوم الجملة فيها على بنية واحـــدة (٣٣)، وبهذا التقدير تسلم النظرة عندهم إلى أن اللغة العربية لغة طبيعية، وليس الأمر كما ذهبوا إليه ؛ فلكـــل لغـــة خصائصها وأسرارها، والقول بوجود نمطين من الجمل في العربية لا يعني – كما اعتقدوا – أنها لغة غير طبيعيـــة أو أنها معقدة، ولا يعـــني أن وجود نمط يجعلها طبيعية غير معقدة،فما ذهبوا إليه، فيما أرى، غير دقيق، يـــدل على ذلك ما كشفه النحاة في تجليات استعمال نمطي الجملة في مواقف مختلفة من الأداء حقق فيـــها النمطـــان دلالات مختلفة.

بنية الجملة العربية

يستطيع الباحث في النحو العربي أن يضع تصورا متكاملا متناسقا لبنية الجملة العربية معتمدا الأصـــول والضوابط التي صرح بها النحاة، أو التي تضمنتها معالجاتهم وتحليلاتهم التي ترتكز على أبعـــاد نظريـــة متينـــة، والبحث عن تلك الأبعـــاد يتطلب دفـــع مقولات النحاة إلى نهايتها، وتجاوز أمثلتهم التطبيقيـــة وخلافـــاتهم الجزئية إلى ما يثوي وراءها من أصول نظرية عامة .

وتمثل علاقة الإسناد ونظرية العامل محورين مهمين في معرفة بنية الجملة العربية ؛ لأن أولهمـــا مكـــون والآخر ضابط للمكونات . كما تمثل الأركان الثلاثة : (م) المسند، و (م إ) المسند إليـــه، و(ف) الفضلـــة مكونات الجملة العربية، والركنان : (م) و (م إ) يكونان البنية الأساسية للجمـــلة العربية، وعليها يقوم المعـــنى الأساسي للجملة، ولذا سماها النحاة، كما ذكرنا، " العمد " وأمـــا الركن الثالث (ف) فهو عنصر تكميلـــي للمعنى الأساسي لا للبنية الأساسية .

البنية الأساسية

وضع النحاة، وهم يدرسون الأبواب النحوية المختلفة، أصولا مجردة لبنية الجملة، فالبنية الأساسية للجملة الاسمية تتكون من :

مبتدأ +خبر ـــــــ جملة اسمية

م إ + م

وتتكون الجملة الفعلية من :

فعل + فاعل ـــــــ جملة فعلية

م+ م إ

وتكون هذه البنية نواة الجملة (العمد) التي لا بد من وجود طرفيها، لفظا أو تقديرا ؛ لأنها اللوازم التي لا يستغنى عنها، فعليها يبنى ما لا ينحصر من الصور الجزئية، وعليها، أيضا، يقوم المعنى الأصلي للجملة المتمثل في إخبار عام مجرد؛ كقولنا :

- **العلم نور .**
- **الصبر جميل .**
- **سقط المطر .**
- **أشرقت الشمس .**

فهذه الجمل تتضمن حكما عاما مطلقا مستفادا من علاقة الإسناد المجردة، أي غير المرتبطة بعلائق نحوية أو دلالية إضافية .

ولم يشترط النحاة أن تدل هذه البنية على معنى تام ؛ ولذا قالوا في حدها، كما ذكرنا، ما تضمنت الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، وليس معنى ذلك أنهم يبيحون للمتكلم أن يركب من المفردات ما لا قبل للغة به كما يتصور .

وتدل هذه الأنظار على وعي تام بمراحل تكون البنى المختلفة للجملة العربية والتنظير لها؛ واللغات متشابهة على مستوى المكون الأساسي Base Component، ومختلفة ومتنوعة في البنية السطحية.Surface str ، كما نبه على ذلك التحويليون (٣٤)، فالمكون الأساسي أهم مكون، فهو تنظيمي لأنه يمنح معاني نحوية منسقة، وتوليدي لأنه ينتج عدداً غير محدود من الجمل النحوية (٣٥). وقد استفاد الوظيفيون بأنظار التحويليين هذه، إذ تشتق الجملة عندهم بوساطة ثلاث بنيات، هي : البنية الحملية .Predicative Str والبنية

الوظيفية .Functional Str، والمكونية .Constituent Str وتتكون البنية الحملية من الأساس (Base) الذي يأتلف من المعجم وقواعد تكوين المحمولات (٣٦).

البنية الوظيفية

الجملة في أول مراحل تكونها " جملة مطلقة " تتضمن ركني الإسناد، المسند والمسند إليه، وقد تتضمن، زيادة على الركنين السابقين، عناصر جديدة تكون علاقات نحوية جديدة تمد في بناء الجملة من خلال معان وظيفية مخصوصة وروابط تركيبية محددة . ثم إن هذه العناصر تولد ضربا من الوظائف الدلالية ؛ بحكم اقترانها بقيم معنوية اقترانا متصلا يكون كيانا قائما بذاته متصلا حلقاته .

ويتسع مدى هذا التشكيل المجرد بإدخال عناصر إضافية على " الجمل المطلقة " باتجاهيها، ناحية اليسار وناحية اليمين ؛ فتستطيل الجملة وفق الإمكانات اللغوية المتاحة التي تقوم على التعلق، ومراعاة حال الكلام بعضه مع بعض، من خلال تناسق الدلالة وتلاقي المعاني على الوجه الذي يقتضيه العقل، كما يقول عبد القاهر الجرجاني (٣٧)، فتتحول الجملة المطلقة إلى " جملة مقيدة (٣٨)" .

فالجملة المقيدة مجموعة وحدات نحوية مصوغة في نسق تركيبي، وهي فعلية أو اسمية، تتضمن علاقة الإسناد، وتجاوزها إلى مواقع جديدة تحتلها عناصر إضافية ترتبط بطرفي الإسناد ارتباطا مخصوصا تتعدد صوره وتتباين دلالاته.

وهذه العناصر الإضافية بمثابة المقيدات التي تقيد علاقة الإسناد، وتقيد، بالتالي، الحكم المستفاد منها؛ وذلك كقولنا في الجملة الاسمية :

- **كان الجو باردا** — **ظننت محمدا عالما**

وفي الجملة الفعلية :

- **أقبل محمد ضاحكا** — **رأيت أباك صباح اليوم**

ففي الجمل السابقة خرجت علاقة الإسناد عن إطلاقها، وتقيدت بارتباطها بعناصر جديدة ضمن علائق نحوية معروفة في العربية قيدت الحكم المتحصل من الإخبار المفهوم من علاقة الإسناد، فبرودة الجو مقيدة بزمن مخصوص هو الزمن الماضي المفهوم من (كان)، وعلم محمد مقيد بكونه واقعا في ظن المتكلم، وإقبال محمد مقيد بحالة مخصوصة (الضحك) التي ارتبطت نحويا بعلاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، ورؤية الأب مقيدة بزمن معين (صباح اليوم).

وتتنوع المقيدات في العربية وتتشكل في صور شتى تتمثل في وظائف نحوية مختلفة رصدها النحاة وصنفوها تصنيفا يضعها خارج دائرة الإسناد، وهي عناصر لغوية مخصوصة لاحظها النحاة كذلك وتفطنوا

لوظيفتها في التركيب وما تضيفه من معان تخرج الحكم في الجملة عن إطلاقه وعموميته .ويمكننا أن نصنف هذه المقيدات تصنيفين وفق ضابطين مختلفين من حيث طبيعة العمل، ومن حيث العلاقة التي تربطها بالنواة الإسنادية :

وأما أنواع المقيدات من حيث العمل، فهي :

١- **مقيدات معمولة** : وهذه تمد في بنية الجملة من اليسار، وتكثر في الجمل الفعلية فترتبط بالفعل بعلاقات نحوية متباينة تعبر عن معان دلالية مخصوصة، مثل : المفعولات، والحال، والتمييز، والمستثنى ...

٢- **مقيدات عاملة** : وهذه تمد في بنية الجملة من اليمين، وتكثر في الجمل الاسمية، مثل : النواسخ بأنواعها، وقد تظهر مثل هذه المقيدات في الجمل الفعلية، كأدوات الشرط مثلا .

وأما المقيدات من حيث طبيعة العلاقة التي تربطها بالنواة الإسنادية، فهي :

١- **مقيدات مرتبطة بالنواة الإسنادية نفسها** (بالحكم المستفاد المتحصل من علاقة الإسناد) ؛ كالمقيدات المذكورة آنفا .

٢- **مقيدات مرتبطة بأحد ركني الإسناد** ؛ كالتوابع، والمضاف إليه، وصلة الموصول، والجار والمجرور ... وغيرها .

ويوضح الرسم التالي أقسام الجملة حسب وجود علاقات نحوية أخرى بالإضافة إلى علاقة الإسناد :

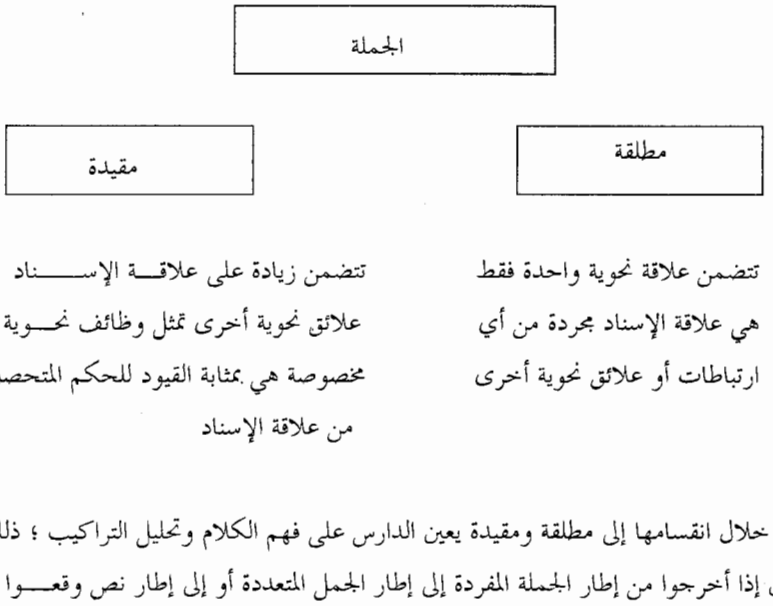

والنظر إلى الجملة من خلال انقسامها إلى مطلقة ومقيدة يعين الدارس على فهم الكلام وتحليل التراكيب ؛ ذلك أن كثيرا من الدارسين إذا أخرجوا من إطار الجملة المفردة إلى إطار الجمل المتعددة أو إلى إطار نص وقعوا في

الخطأ، وعجزوا عن تصور العلاقات التركيبية بين الجمل، وحدود كل علاقة ومجالها، لكن تصور الجملة بهذا التقسيم يجعل الدارس يبدأ أولاً بالبحث عن النواة الإسنادية التي تكون الجمل، والتي تتضمن الحكم العام (الإخبار المجرد عن المسند إليه بالمسند)، ثم ينظر في امتداداتها واستطالتها بعلائق تركيبية جديدة تقع في مجال النواة الإسنادية التركيبي والدلالي، أو تقع في مجال العامل وهو العنصر " المنظم ... الذي يقارن وجود آثار في العناصر الأخرى تبين درجة الانتظام بالنسبة إليه " (٣٩) والجملة، اعتمادا على مفهوم الإسناد، شكل خاص من أشكال درجة الانتظام بين العامل والمعمول يتحدد بعلاقة الإسناد .

ويمكن تقسيم الجملة، أيضاً، حسب علاقات الإسناد الموجودة فيها إلى : بسيطة ومركبة، كما يبينه الرسم التالي :

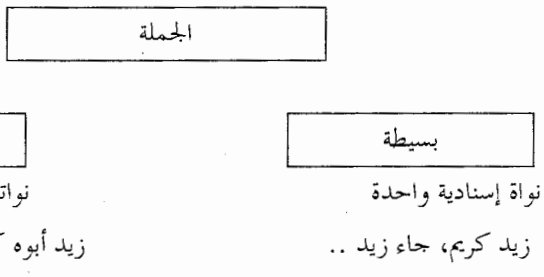

فالجملة البسيطة : هي جملة المسند والمسند إليه منفردين، أو مقيدين بقيود دلالية تمثلها وظائف نحوية مخصوصة، فهي تتضمن نواة إسنادية واحدة .

أما الجملة المركبة : فتتضمن نواتين إسناديتين أو أكثر (٤٠) .

فإذا نظرنا إلى قوله تعالى : { إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا } وجدنا أن هذه الجملة تتكون من ثلاث أنوية إسنادية (٤١) ؛ فهي جملة مركبة بناء على ذلك .

ويلاحظ أن العلاقات التركيبية في الجمل تتداخل وتتكاثف بشكل يصعب معه وصف الجملة وصفاً أحاديًّا من حيث التركيب والبساطة أو الإطلاق والتقييد، أو الاسمية والفعلية ؛ وعليه يمكن أن نصنف الجمل في العربية تصنيفا آخر يلاحظها وينظر إليها من زوايا مختلفة ؛ فيمكن أن نصف الجملة بأنها :

١- **بسيطة مطلقة** ؛ مثل : زيد كريم، جاء زيد .

٢- **بسيطة مقيدة** ؛ مثل : كان زيد كريماً ، جاء زيد راكباً بالأمس .

٣- **مركبة مطلقة** ؛ مثل : زيد أبوه كريم، تبين أن العمل مستمر(٤٢).

٤- **مركبة مقيدة** ؛ مثل : كان زيد أبوه كريم، جاء زيد يركض .

وبناء على ما تقدم، فإن الناتج من توسيع البنية الأساسية بنية أخرى، يمكن أن نطلق عليها " البنية الوظيفية " التي يتم بناؤها عن طريق أنواع المقيدات التي سبق ذكرها، وتقوم على هاتين البنيتين :

م إ + م + ف ـــــ ج. اسمية (بسيطة أو مركبة)

م + م إ + ف ـــــ ج.فعلية (بسيطة أو مركبة)

وقد قام نهج النحاة في وصف التراكيب في العربية وقوانين نظمها وتحديد العلاقات بين أركانها من خلال إفراد باب لكل وظيفة، فصلوا فيه :

- قيود الوظيفة الصرفية : من حيث ما يمثلها من مبان صرفية، سواء كانت على مستوى المفرد أم الجملة .
- قيود الوظيفة النحوية : من حيث الإعراب والرتبة والمطابقة والربط والحذف والتقديم والتأخير، وغير ذلك من الخصائص .
- أبعاد الوظيفة التركيبية والدلالية والتداولية : فصل النحاة في الأبعاد التي تدل عليها كل وظيفة نحوية، ونجد في هذا التفصيل : وظائف يبرز فيها المعنى الوظيفي (النحوي)، وأخرى الملحظ الدلالي، وثالثة يقوم تصورها على البعد التداولي (المعنى الاجتماعي / الخارجي) (٤٣)، كما نجد وظائف تجمع بين بعدين، ووظائف لها أغراض دلالية مختلفة،وهاك بيان ذلك موجزاً:

وظائف تركيبية (نحوية) :

المبتدأ (يبنى عليه الكلام) . الفاعل (يبنى عليه الفعل المقدم عليه)، ويشاركه نائب الفاعل (جزء أساسي بعد حذف الفاعل) . والمفعول به (يحتاج إليه إذا كان الفعل متعدياً) .

وظائف دلالية :

الخبر (يصير به المبتدأ كلاماً) . والفاعل (من قام بالفعل)، والمفعول به (يقع عليه فعل الفاعل) . والمفعول المطلق (يؤكد الفعل أو يبين نوعه أو عدده)، المفعول لأجله (علة الفعل)، والمفعول فيه (زمان أو مكان الفعل)، والمفعول معه (بعد واو للتنصيص على المعية) .

والحال (يبين هيئة صاحبه)، التمييز (رفع الإبهام في جملة أو مفرد). والمستثنى (إخراج بعض من كل) المضاف إليه (ما نسب إليه شيء بوساطة حرف الجر) . والنعت (يكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه أو فيما يتعلق به) . والتوكيد (المعنوي يكرر أمر المتبوع من حيث العموم والشمول، اللفظي : يكرر المتبوع بنصه أو بلفظ آخر) . وعطف النسق (يكون بتوسط حرف بينه وبين المتبوع، وتختلف هذه الحروف في

دلالتها المعنوية ...) . وعطف البيان (يوضح متبوعه إن كان معرفة بلفظ يدل على ذات متبوعه . والبدل (مقصود بالحكم).

وظائف تداولية :

المبتدأ (معرفة المخاطب) . والخبر (محط فائدة السامع) . والتمييز (تنبيه المخاطب على المراد بالنص على أحد محتملاته) . والمنادى (طلب إقبال المخاطب بحرف ناب مناب الفعل) . التوكيد (تمكين المعنى في نفس المخاطب وإزالة الاحتمال في التأويل).

هذه صورة إجمالية للوظائف النحوية صنفتها وفق أبعادها التركيبية والدلالية والتداولية، معتمداً في ذلك على ما وضع النحاة من حدود لها تكاد تلتقي عليها مصنفاتهم، ولا يتسع المقام لتناولها بالتفصيل ؛ إذ يحتاج ذلك إلى دراسة مستقلة تبرزها بالشاهد أو المثال، وقد اكتفيت بوضع هذه الأبعاد بين قوسين، وما يؤيد ذلك أننا نجد لكثير من هذه الوظائف صوراً فرعية لها أغراض دلالية وتداولية، من مثل : ضمير الشأن في باب المبتدأ، وأساليب الإغراء والتحذير في باب المفعول به وما ينوب عن المفعول المطلق ... مما يدل على ثراء واسع في آثار هذه الوظائف في تراكيبها .

ويلتقي هذا التصنيف للوظائف النحوية، في جانب كبير منه، بالتقسيم في النحو الوظيفي بفارق منهجي هو أن النحو الوظيفي يتخذ البعد التداولي للغة ضابطاً أساسياً في تحديد الوظائف(٤٤)في حين تحكم فكرة العمل العلاقات التركيبية في الجملة، ثم توجه تلك العلاقات بضوابط دلالية وتداولية مختلفة .

أما أنواع المركبات التي تمثل الوظائف النحوية فجعلوها في مستويين :

المستوى الأول : يشمل الكلمة الواحدة بوصفها أصغر وحدة تحليلية، والمركبات المتلازمة التي تتشكل من كلمتين أو أكثر، وتترابط عناصرها على نحو لا يخرجها عن حالة الإفراد، ويصدق ذلك على : المضاف والمضاف إليه، والموصول والصلة، والجار والمجرور، والتابع والمتبوع (٤٥)، وما تضمن معنى حرف وبني شطراه، نحو : أحد عشر، وصباح مساء، بيت بيت (٤٦)، والاسم المميز، نحو : ثلاثون رجلا .

وهذه المركبات، على اختلافها، متلازمة، فإذا حل صدرها في موقع من مواقع الجملة حل فيه وهو مرتبط بالظرف الثاني من خلال العلاقة التي تربطهما . وقد تتداخل هذه المركبات، بعضها ببعض، فتكون مركبا متشابكا نحو قوله تعالى : { من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس} وبين أن هذا المركب المتعدد يشتمل على ستة مركبات متداخلة .

والمستوى الثاني : يمثله المركب الإسنادي، ويصلح هذا المركب أن يشغل وظيفة نحوية أو لا، على نحو ما ذكره النحاة من تقسيمهم الجمل إلى ما له محل من الإعراب، وما ليس له محل من الإعراب، وقد تناولها ابن

هشام الأنصاري في " مغنى اللبيب " فبسط فيها القول، كما تناول حكمها بعد المعارف والنكرات وجعل التي تقع موقع المفرد لها محل من الإعراب، والتي لا تقع موقعه لا محل لها من الإعراب (٤٧) . ويعد عمله، في الكتاب المذكور، جهدا متفردا يمثل ما انتهت إليه دراسات النحويين واللغويين والمفسرين في سبيل الوصول إلى تكوين نظرية في دراسة الجملة وبنيتها التركيبية(٤٨) .

ونستطيع أن نمثل لما سبق بأبيات الخنساء التالية، في رثاء أخيها صخر :

يؤرقني التذكر حين أمسي ويردعني مع الأحزان نكسي
على صخر وأي فتى كصخر ليوم كريهة وطعان خلس
وعان طارق أو مستضيف يروع قلبه من كل جرس(٤٩)

إذ تقوم الأبيات على جملتين مركبتين مقيدتين تحملان معنيين رئيسين، هما :

+ أرق الخنساء وحزنها على صخر

+ صخر الفتى (أي الكامل في الرجال)

وهذان المعنيان مستفادان من علاقتي الإسناد المجردتين : يؤرقني التذكر، أي فتى كصخر ؟ اللتين اغتنيتا بوظائف نحوية، أمدت في بنائهما هكذا :

- يؤرقني التذكر حين أمسي (و) يردعني مع الأحزان نكسي على صخر
- وأي فتى كصخر؟ ليوم كريهة (و) طعان خلس (و) عان طارق (أو) مستضيف يروع قلبه من كل جرس

فالجملة المركبة الأولى استطالت عن طريق ربطها بحرف العطف بجملة (يردعني مع الأحزان نكسي على صخر) وبين الجملتين علاقة دلالية وثيقة .

أما الجملة الثانية فاستطالت عن طريق سلاسل المركبات المتلازمة : ليوم كريهة + طعان خلس + عان طارق+مستضيف يروع قلبه... واستطال المركب الأخير عن طريق نعته بجملة(يروع قلبه) وارتبطت الجملة بالنعت عن طريق ضمير الغيبة في (قلبه)، وليس بين هذه الجملة وجملة النواة الإسنادية (أي فتى كصخر) علاقة دلالية مباشرة، وإنما كانت تفريعا لأحد عناصرها الذي ارتبط بما قبله بحرف العطف وجملة (يردعني مع الأحزان ...) ؛ لعطفها على جملة ليس لها محل من الإعراب (ابتدائية) . وجملة (يروع قلبه) لها محل من الإعراب ؛ إذ وقعت نعتا، وهذا يدل على أن تقسيم النحاة إلى : ما لها محل، وما ليس لها محل ؛ ليس تصنيفا لها، وإنما يدل على أن هذه الجمل تشكل عمقا زائدا للجملة عن طريق ربطها أو تفرعها أو إدخالها في نواتها ؛ مما يؤدي إلى إطالتها وتعقد بنائها .

لقد فصل النحاة، وبخاصة ابن هشام الأنصاري، في دراسة هذه الجمل، و لم تكن دراستهم، كما يزعم بعض المحدثين، مقتصرة على مدى " قدرتها على تعويض المفرد ... فما له طاقة يعوض بها المفرد ... يندرج ضمن البناء الوظائفي لتركيب الكلام، وما ليس له تلك الطاقة فلا يكون له محل من الإعراب، وبالتالي يعجز عن أداء دور وظائفي في الكلام " (٥٠) وليس الأمر كما وصف ؛ فقول النحاة " لها محل من الإعراب " يعنون الجمل التي تتعالق مع ما قبلها وما بعدها تركيبيا ودلاليا، ومعنى " تحل محل المفرد " أنها تقع موقعا يصح وقوعه فيه (٥١)، أما قولهم " لا محل لها من الإعراب " فإنما يعنون الجمل التي تتعالق مع ما قبلها وما بعدها دلاليا لا تركيبيا، أي يكون لها دور في المعنى الدلالي للجملة ؛ إذ لا ينفي استقلالها التركيبي " وجود ارتباط معنوي ؛ فالنص بأكمله مجال دلالي واحد، والجمل من النص تقوم على تسلسل معنوي بحكم انتمائها إلى نفس المجال " (٥٢).

الربط في الجملة

الربط والدمج والتفريع، ظواهر عدها علماء اللغة المحدثون من قبيل الظواهر المشتركة بين اللغات، لكنهم اختلفوا في دلالاتها اختلافا كبيرا، فمنهم من عد التفريع متطورا عن الربط، ومنهم من عدهما مترادفين، ومنهم من رجح أن الربط والتفريع ظاهرتان مستقلتان (٥٣) .

أما نحاة العربية فيستخدمون مصطلح (الربط)، ويعدون الجمل أو المفردات مترابطة إذا وجدت بينها عناصر لغوية تربطها بعضها ببعض، وقد تتبعوا هذه الظاهرة وبسطوا القول فيها، بحكم أنها تحكم أصول النظم في الجملة العربية، كما تقروا جميع الأنماط التركيبية لتقصي مظاهر الربط، فحددوا مواضعه من خلالها، ولكنه جاء مشتتا موزعا في الأبواب .

أما مصطلح " التفريع " أو "الدمج" فلم يعرفوه مصطلحا، لكنهم عرفوه ممارسة ؛ يقول بعض المحدثين إنهم عرفوا " مصطلح الجمل التي لها محل من الإعراب ... وأغلبها داخل فيما يطلق عليه غيرهم مصطلح التفريع" (٥٤) .

وقد وقفت عند كثير من الجمل المترابطة، والجمل التي لها محل من الإعراب، والتي لا محل لها من الإعراب، كما وقفت عند ما بحثه عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) في باب " الفصل والوصل " ؛ فاستشعرت أن مصطلح (الربط) إنما يكون بين مرتبطين ارتباطا وثيقا، أما مصطلح " التفريع " أو " الدمج" فبين مرتبطين ينتميان إلى حقلين دلاليين مختلفين، ويتضح هذا بالأمثلة التالية التي أوردها عبد القاهر (٥٥)، ومنها :

١- زيد طويل القامة وعمرو شاعر .

٢- زيد كاتب وعمرو شاعر .

٣- زيد طويل القامة وعمرو قصير .

فالعطف في الجملة الأولى عده عبد القاهر شاذا؛ " لأن الخبرين ينتميان إلى حقلين دلاليين مختلفين ولا شيء يبرز العطف بين كون زيد طويل القامة، وكون عمرو شاعرا . والأصوب أن يؤتي لكل خبر بلفقه ومشاكل له، أي طول القامة وقصرها أو قول الشعر وكتابة القصة " (٥٦) .

واستنادا إلى هذا يمكن أن نعد الجملة الأولى، في الأمثلة السابقة، قد استطالت بالتفريع وليس بالربط رغم وجود الواو التي يمكن عدها استئنافية ؛ إذ يحكم العطف أسباب نحوية ومعنوية، ورغم هذا نرى، أيضا، أن التفرقة بين الظاهرتين تبقى دقيقة مما حملنا على أن نقول:" استشعرت "

وظاهرتا الربط والتفريع تصلحان ، فيما نعتقد ، لأن يفسر بهما توالد الجملة العربية في إطار الجمل التي لها محل من الإعراب والتي لا محل لها، وهو موضوع تفصيلاته كثيرة، ولا يسعنا ذكرها، ولكنا نورد أمثلة توضح ذلك ؛ لأن الغاية هي الوقوف على بنية الجملة العربية وما قدمته النظرية النحوية العربية، رغم تشتته، في ذلك :

فمن شواهد التوليد بالربط :

- **العطف**؛ نحو قوله تعالى : { آمنا بالله (و) ما أنزل إلينا (و) ما أنزل إلى إبراهيم ... } البقرة:١٣٦ وعطف النسق من طرق تركب الجملة وتنوع مكوناتها ودلالاتها ؛ إذ ترتبط جملتان أو أكثر، كما في الآية الكريمة، بحرف عطف، وهذه العلاقة تختلف إذا اختلف الرابط من نحو : الفاء، ثم، حتى ... وغيرها من حروف العطف .

- **الجملة التفسيرية**؛نحو قوله تعالى:{ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ..} آل عمران:٩٥ (خلقه من تراب) جملة تفسيرية متصلة نحويا ودلاليا بالجملة التي سبقتها، رغم غياب حرف التفسير، كما في بعض أنواعها (٥٧) ؛ فهي تفسير لمثل آدم، لا باعتبار ما يعطيه ظاهر لفظ الجملة من كونه قدر جسدا من طين ثم كون، بل باعتبار المعنى (٥٨) ...

- **الجملة البدلية** ؛ نحو قول الشاعر :

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا وإلا فكن في السر والجهر مسلما

جملة (لا تقيمن ...) بدل اشتمال من جملة (ارحل ...) ؛ وبين الجملتين علاقة نحوية (الربط بالضمير)، ودلالية ؛ إذ يلزم من الرحيل عدم الإقامة(٥٩) .

ومن شواهد التوليد بالتفريع :

- **الجملة المعترضة** ؛ نحو قول جويرية بن زيد :

وقد أدركتني – والحوادث جمة – أسنة قوم لاضعاف ولا عزل

(والحوادث جمة) جملة معترضة بين الفعل والفاعل؛ والاعتراض ضرب من التوسعة في الجملة، وهي توسعة موقعية متصلة بالعلاقات الدلالية بالجملة، وتستعمل " لإفادة الكلام تقوية وتسديدا " (٦٠) . وهي لا توضح جملة سابقة وإنما تلفت الانتباه إلى أمر آخر له بعد دلالي في الجملة .

- **الجملة الشرطية** ؛ نحو قوله تعالى :

{ إذا دعاكم دعوة من الأرض (إذا) أنتم تخرجون } الروم :٢٥

ضرب من الجمل المركبة الدالة على تلازم جملتين مسبوقتين بأداة شرط تدخل عليهم ؛ فتربط إحداهما بالأخرى وتصيرهما كالجملة الواحدة(٦١).

وجملة الجواب اسمية مقترنة بـ (إذا) الفجائية التي تحل محل الفاء في بعض الحالات للربط المعنوي الداخلي بين جملة الشرط والجواب .

- **الجملة الظرفية** : ومثلهما الجملة الظرفية ؛ نحو قوله تعالى :

{ كلما خبت زدناهم سعيرا } الإسراء:٩٧

والجملة الظرفية كجملة الشرط تردان في صورة جملة متلازمة دلاليا .

- **الجملة الاستفهامية** ؛ نحو :

أمحمد عندك أم خالد ؟ فتجيب : محمد أو خالد

سؤال جواب

الجملة الاستفهامية تقوم على تعليق بين جملتين ؛ إذ الجواب يتضمن إخبارا متصلا بالسؤال، وبين الجملتين تلازم نحوي ودلالي .

- **جملة النداء** ؛ نحو :

يا زيد ، أكرم ضيفك

وهي جملة قائمة على بنية سطحية وبنية مضمرة تتكون من إسناد تام في أسلوب خبري : أنادي أو أدعو.

ويتحقق التلازم في جملة النداء إذا وقعت في سياق دلالي زيادة على معنى الجملة المركبة في بنيتها الملفوظة(٦٢) .

- **جملة القسم** ؛ نحو : أقسم بالله لأحافظن على العهد

ويتحقق بين جملة القسم وجملة الجواب تلازم نحوي ودلالي .

- **الجمل التي لها محل من الإعراب ومنها :**

– عرفتك ما تحب العبث جملة حالية والرابط ضمير مستتر

– (حتى تنـــزل علينا كتابا نقرؤه) الإسراء:٩٣ جملة النعت والرابط الضمير المتصل

– أظن المجد هو هدف العظيم جملة المفعول الثاني

– (فانكحوا ما طاب لكم من النساء)النساء:٣ جملة الصلة ارتبطت جملة الصلة بالجملة التي قبلها بالموصول الاسمي (ما)

وقد تتولد الجملة المركبة بالربط وبالتفريع معا ؛ فتطول وتتشابك عناصرها اللغوية وسلاسل مركباتهـــا، نحو قوله تعالى في سورة البقرة (الآيات :٢-٥) :

{ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقـــون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون .أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون. إن الذين كفروا ... } والربط والتفريع في الآية تستطيع أن تتبينه بالوقوف على آراء المفســرين في بيان عناصرها وسلاسل المركبات فيها .

والجملة بهذا الطول تكون قادرة على تحقيق معان ومضامين غنية، بحكم تنوع العلاقات التركيبية وتنـوع أشكالها، وهل عالج النحاة جملا بهذا الطول ؟ حقا أنه يظل لـــ " نحو الجملة " الاهتمام الأول في أعمالهم، على حين يمثل النشاط المرتبط بالنص تذوقا وفهما وتحليلا وتفسيرا ؛ دورا بارزا في أعمال المفســـرين والبلاغيـــين والفقهاء ؛ وهذا يدفعنا إلى موافقة من ذهب إلى أن النشاط اللغوي العربي القديم ينقسم إلى : نحو الجملة، ونحو النص، مما يدعو إلى استصفاء منهج في التحليل مستمد من أعمال هؤلاء جميعا.

ظواهر نظم الجملة

النظم، اصطلاحا، تأليف الكلم والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات، وفق قصـــد المتكلـــم (٦٣) . والمعاني في نظام الجملة العربية تتحقق بعلامات الإعراب التي تعد أهم وسيلة للتمييز بين المعـــاني، لأنـــه دوال عليها، وتتقوم بالعامل " الذي يولد العلاقات التركيبية بين المركبات النحوية في بنية الملفوظ المفيد " (٦٤).

والإعراب خاصية تتميز بها العربية ؛ ولذا أولوه عناية شديدة ؛ فوضعوا لـــه الضوابـــط والموجـــهات، وجردوا له كثيرا من الأصول، ولكنهم – رغم ذلك – لم يشغلوا به (٦٥) عما عداه من العناصر التي تســـعف

في تجلية العلاقات المتشابكة في الجملة العربية ؛ فقد تناولوا بالدرس جوانب أخرى تنضاف إلى قرينة الإعراب ؛ كالمطابقة (٦٦) والرتبة، والصيغة ... وغيرها من القرائن(٦٧) .

كما عولوا على المعنى معولا كبيرا؛ فتلمس في معالجاتهم :المعنى الوظيفي (Functional) والمعجمي (Lexical) والاجتماعي أو المقامي (Contexttual) ؛ وأدل مثال على ذلك صنيع سيبويه في الكتاب وابن هشام في مغنيه(٦٨) .

ويستكمل النحاة دراستهم في الجملة بمجاوزة ظاهر العلاقات الداخلية والامتداد إلى ما وراءها، وما يندغم فيها ؛ فدرسوا البعد الخارجي للغة متمثلا في المقام وقصد المتكلم وحال المخاطب، وهذا البعد " مستشعر في تحليلاتهم على نحو يمثل استخراجه إحياء لأصل من أصولهم صدروا عنه وإن لم يصرحوا به تصريح اللسانيات الاجتماعية والحقول الملابسة لها في هذه الأزمنة "(٦٩) و "الكتاب" يحتفل بهذا احتفالا كبيرا (٧٠). و لم يغفلوا في أثناء ذلك بعض ظاهرات في نظم الجملة، من نحو : التقديم والتأخير والحذف ... ؛ ولا ريب أن هذا المنهج يتوافق والهدف الذي من أجله وضعوا النحو وقعدوا القواعد ؛ فإدراك أبعاد اللغة الداخلية والخارجية مطلب مهم في فهمها والوقوف إلى أسرارها وصولا إلى الهدف المنشود في فهم الكتاب العزيز وأحكامه .ويمكن، بناء على ما قدمنا، أن نتبين المحاور الرئيسة التالية في بنية الجملة العربية :

١- البنية الأساسية (العمد)

م إ + م ـــــ ج. اسمية

م +م إ ـــــ ج. فعلية

- نواة إسنادية لابد من وجود طرفيها، وتتضمن حكما عاما مطلقا مستفادا من علاقة الإسناد، المجردة
- بنية توليدية تنتج عددا غير محدود من الجمل النحوية وتنظيمية لأنها تمنح معاني نحوية منسقة.

٢- البنية الوظيفية :

م إ + م +ف ـــــ ج. اسمية

م +م إ +ف ـــــ ج. فعلية

- ادخال عناصر جديدة تقيد علاقة الإسناد،
عناصر من المستوى الأول ـــــ جملة بسيطة،
عناصر من المستويين ـــــ جملة مركبة
- تتمثل المقيدات في الوظائف النحوية المختلفة التي تتخير في مقام دلالي أو تداولي مقصود
- العناصر في البنية التركيبية والمقيدة محكومة بنظرية العامل الذي يعين على إدراك العلائق بين العناصر

وتحقيق ترابطها وهذه العناصر : إما عاملة أو معمولة وإما مرتبطة بالنواة الإسنادية أو بأحد طرفيها .

- العلاقات التركيبية في الجملة البسيطة تجتمع في معادلة إسنادية واحدة، وهي في المركبة متعددة بسبب تعدد
- المكونات التي ينتج عنها تعدد في الوظائف النحوية ممثلة بالعناصر اللغوية وسلاسل المركبات .
- ظاهرتا الربط والتفريع يفسر بهما توالد الجملة العربية في إطار الجمل التي لها محل من الإعراب والتي لا محل لها

٣- ظواهر نظم الجملة

- الإعراب خاصة تتميز بها العربية، وهو من أقوى القرائن لتجلية العلاقات المتشابكة في الجملة، وينضاف إليه قرائن أخرى .
- مقتضى الإعراب هو العامل، وعلامات الإعراب دوال على المعاني .
- العناصر اللغوية وما تؤديه من وظائف محكومة أيضا بعلاقات داخلية يضبطها العامل، وخارجية تتمثل في: المقام، وقصد المتكلم، وحال المخاطب ...

ظواهر التقديم والتأخير والحذف والأداء الصوتي محكومة بالعلاقات الداخلية والخارجية، وبالأخيرة أكثر .

خاتمـــــــة

وبعد، فقد حاول هذا البحث، على امتداده، أن يقدم وصفا لبنية الجملة العربية ؛ فانطلق يمـــهد ببيـــان مفهومي الكلام والجملة لدى القدماء، أوائلهم ومتأخريهم، ثم ناقش مفهوم الجملة فبين أنهم أقاموه على حـــد الإسناد الأصلي ؛ فارتضى هذا الحد معيارا صالحا لتحديد مفهومها ؛ لأنه يخلصها من كثير من الاختلاطـــات ويقيمها على أساس نحوي ثابت، ويعطيها شكلا قارا يسهل معه تحليل التراكيب ووصفها .

ثم حاول البحث أن يضع تصورا متكاملا متناسقا لبنية الجملة العربية معتمدا الأصول والضوابـــط الـــتي صرح بها النحاة أو التي تضمنتها معالجاتهم وتحليلاتهم، فرأى أن علاقة الإسناد المتمثلة في : (م) المسند، و (م إ) المسند إليه، ونظرية العامل ؛ تمثلان محورين مهمين في معرفة بنية الجملة العربية ؛ لأن أولهما مكـــون والآخـــر ضابط للمكونات، وعلى الأول تقوم البنية الأساسية للجملة العربية ممثلة في النموذجـــين : الاسمـــي (م إ+م)، والفعلي (م + م إ)، والجملة في هذه المرحلة (مطلقة) تتضمن علاقة الإسناد مجردة مـــن أي ارتباطـــات أو علاقات نحوية أخرى .

وقد يتسع مدى هذا البناء المجرد بإدخال عناصر إضافية تمد في بناء الجملة من خـــلال معـــان وظيفيـــة مخصوصة وروابط تركيبية محددة تولد ضربا من الوظائف الدلالية ؛ بحكم اقترانها بقيم معنوية اقترانا متصـــلا، فتتكون البنية الوظيفية ممثلة في النمـــوذجين : الاسمـــي (م إ + م + ف) والفعلـــي (م + م إ +ف)، والجملة في هذه المرحلة (مقيدة) بحكم تضمنها علاقات نحوية تمثل وظائف نحوية، هي بمثابة القيود للحكـــم المتحصل من علاقة الإسناد، وعرض البحث لهذه الوظائف فصنفها وفق أبعادها المعنوية إلى وظائف : تركيبيـــة، ودلالية، وتداولية، ثم بين أنواع المركبات فجعلها في مستويين : مفرد وجملة .

وصنف البحث الجملة، أيضا، إلى : بسيطة ومركبة ؛ فالبسيطة ما تضمنت نواة إسنادية واحدة، والمركبة ما تضمنت نواتين فأكثر، ثم وقف عند الجملة المركبة ؛ فرأى أن ظاهرتي الربط والتفريع ؛ تصلحان لأن يفســـر بهما توالد الجملة المركبة في إطار الجمل التي لها محل من الإعراب والتي لا محل لها، مؤيدا ذلك بشواهد تمثـــل أنماطا من التوليد بالربط، وأخرى من التوليد بالتفريع .

ثم عرض البحث لظواهر نظم الجملة فوجد أن النحاة لم يقفوا في دراستها عند الضوابط اللغوية الداخليـــة بل امتدوا إلى ما وراءها ؛ فدرسوا البعد الخارجي ليتوافق بذلك المنهج والهدف. ولا يملك المتأمل، فيما عرضنا، إلا أن يعتقد أن النحاة كانوا يصدرون، باطراد، عن أصول ثابتة تمثلوها وهم يصفون العربيـــة، ولا شـــك أن قراءة متأنية دقيقة، في ظل ما تهيأ من أنظار حديثة جادة، تفيد في اكتشاف الخطـــوط العامـــة الـــتي تشـــكل منهجهم، وهذا ما حاوله هذا البحث، فانتهى إلى عرض موجز للمحاور الرئيسة لبنية الجملة وهي بنية ليســـت ثابتة ذات طبيعة شكلية، بل هي بنية تجمع بين الأصول النحوية العامة والضوابط غير النحوية التي تحقـــق لهـــا الشمولية والتجدد .

الهـــوامـــش

١- انظر : محمد حماسة، في بناء الجملة العربية، ص ٣٨-٣٩.

٢- أفرد ابن هشام الأنصاري بابا في كتابه " مغنى اللبيب " للجملة وأحكامها، كما صدر كتابه الموسوم بـــ " الإعراب عن قواعد الإعراب "بالحديث عنها .

٣- ومن هذه المعايير ما يقوم على اعتبار : الشكل أو الدلالة أو الإسناد، أو الاتجاه الخطي(الذي يلجأ إليـــه لأغراض تعليمية لتعريف الجملة بأنها مجموعة من الكلمات التي تفصل عن غيرها بنقطة واحدة) أو الاتجاه النغمي.

(الذي يعتمد خط النغمة الذي يرافق التلفظ ويتحدد بداية الجملة بتصعده ونهايتها بتنزله) . انظر :

-Stork , Barbara : Modern English Structure , p.63

- محمد الشاوش، ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية، أشغال ندوة اللسانيات في خدمـــة اللغة العربية، ص ٢٤٥.

٤- انظر : محمود نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص١١.

٥- انظر : محمد حماسة، في بناء الجملة العربية، ص ٢٦-٢٩ . محمد خـــير الحلـــواني، مفـــهوم الجملـــة في اللسانيات والنحو العربي، ص ٢٠٥-٢٠٧ . محمود نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربيـــة ص ١٧-١٩، محمد عبادة، الجملة العربية ص ٢٨.

٦- انظر: المبرد، المقتضب : ١/٨/٢،٦٨/٢.

٧- ص ٤٠.

٨- ص٦.

٩- رضي الدين الاستراباذي، الكافية في النحو، ٨/١،والمقصود بالإسناد الأصلي كما وضحه الرضي في الموقع نفسه، إسناد الفعل لفاعله والخبر لمبتدئه، وأما الإسناد غير الأصلي فهو إسناد المصـــدر واســـي الفـــاعل والمفعول والصفة المشبهة إلى فاعل لكل منها .

١٠-ابن هشام الأنصاري، الإعراب عن قواعد الإعراب، ص ٣٥.

١١- انظر في شيء من هذا : محمد الحلواني، مفهوم الجملة في اللسانيات والنحو العربي ص ٢١٤.

١٢-الخصائص : ٢٩/١.

١٣- الكتاب (بولاق) :٧/١.

١٤- انظر :

- Harttman and stork , Adictionary of language and linguistics , london ,p.206
- Frank Palmer : Grammar , penguim , 1973 , p.71

١٥- لم يقدم " دي سوسير " تعريفا محددا للجملة، وإنما كان يهتم بالوحدات الصغرى في اللغة، كالصوت والمورفيم والكلمة؛ ذلك أنه عد الجملة من قبيل الكلام لا من قبيل اللغة، والمعروف أن موضوع الألسنية عنده هو اللغة التي يجب أن نحصر اهتمامنا فيها فقط للحكم على جميع مظاهر الكلام، فهي تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها، تدرس كما تظهر . انظر :

فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية، ترجمة صالح القرمادي وزميليه، ص ٢٧ وما بعدها .

ونهاد الموسى، نظرية النحو العربي ص ٢٧ .

١٦- انظر :

L.Bloomfield : Language , London , George Allen and Unwin Ltd. Musem street , 1967, -p.170

وانظر أيضا: عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي، الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، ص ٣٦.

١٧- انظر: محمد الشاوش، ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة، ص ٢٤٦.

١٨-أي نتيجة ما يحدث من تفاعل بين البنيتين . انظر :

محمد الشاوش، ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة، ص٢٣٧، ٢٤٦.

١٩- انظر : ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب، ص ٤٩٢.

ومثال الظرفية : كما مثل لها ابن هشام : أعندك زيد ؟ أفي الدار زيد ؟

ويحلل النحاة هاتين الجملتين بثلاث طرق :

أ- (زيد) مبتدأ مؤخر، والظرف أو الجار والمجرور قبله خبر مقدم .

ب-(زيد) فاعل للفعل المحذوف الذي يتعلق به الظرف أو الجار والمجرور، تقديره : استقر . وإذا قدر الاستقرار المحذوف اسما " مستقر " كان (زيد) مبتدأ له وهو الخبر .

ج- (زيد) فاعل للظرف أو الجار والمجرور، وفي هذه الحالة يشترط أن يكون الظرف أو الجار والمجرور معتمدا .

وانظر : ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٥١-٥٥.

٢٠- ابن يعيش، شرح المفصل :١/٨.

٢١- ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب، ص ٤٩٢.

٢٢- انظر فيما سبق : السابق ص ٤٩٣-٤٩٩ . وانظر أيضا :

عبدالحميد السيد، التحليل النحوي عند ابن هشام الأنصاري، ص٣٩-٤٠.

٢٣- عبدالرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص ١٥٩، وذهب مهدي المخزومي إلى أن أسلوب النداء ليس جملة فعلية ولا جملة غير إسنادية، وإنما هو مركب لفظي بمنزلة أسماء الأصوات لإبلاغ المنادى ... انظر:مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٣١١

٢٤- انظر : نهاد الموسى، نظرية النحو العربي ..، ص ٤٨

٢٥- انظر:

- Hockett : Acourse In Modern Linguistics , p.246

٢٦- انظر من القدماء : المبرد، المقتضب :١٢٨/٤، ابن يعيش،شرح المفصل ٧٤/١.ومن المحدثين:إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص٢١٨، مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٣٩، برجشتراسر، التطور النحوي، ص ١٣٣،

٢٧- حيث (م) = المسند، (م إ) المسند إليه .

٢٨- انظر : مازن الوعر، نحو نظرية لسانية، ص ٣٢ وما بعدها .

٢٩- انظر : عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص ١٣٣.

٣٠-انظر : السابق،ص١٣٤،١٣٥،١٣٧، أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص ٥٨،٥٩،٦٠ . ويجعل مازن الوعر (كان) الرابط يعقب المبتدأ، يظهر ذلك من الأمثلة التي حللها، انظر : مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية، ص ١٤١،١٤٢،١٤٣،١٤٤،١٤٥.

٣١- انظر : عطا موسى، مناهج الدرس النحوي، ص٢٧٦.

٣٢- انظر: عبدالقادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص ١٣٤.

٣٣- ويرى أحمد المتوكل أن الجمل الرابطية تمثل نمطا بنيويا مستقلا فهي ليست فعلية ولا اسمية، وإنما هي جمل وسطى تشارك الجمل الاسمية في بعض مميزاتها الحملية والوظيفية وتقاسم الجمل الفعلية خصائصها المكونية. انظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص٨٢.

٣٤- انظر : عبد الله حامد، فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية، ص٢١

٣٥- انظر : مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٩٣

٣٦- انظر : أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص ٢٧-٢٨

٣٧- دلائل الإعجاز ص ٩٤.

٣٨- يلحظ – هنا – أن تقسيم الجملة إلى : مطلقة ومقيدة، يقوم مقام معيار دلالي بالدرجة الأولى، ينظر في معنى الحكم المفهوم من الجملة .

٣٩- أحمد العلوي، آية الفكر وكبرياء النظر، ص ٢٥

٤٠- ونلحظ – هنا – أن معيار التقسيم معيار نحوي بالدرجة الأولى، تترتب عليه أبعاد دلالية مختلفة .

٤١- هي : إن السمع ... مسئولا، كل أولئك كان عنه مسئولا، كان عنه مسئولا .

٤٢- بالنظر في ظاهر اللفظ، أما إذا اعتمدنا تأويل المصدر المؤول إلى مصدر صريح (تبين استمرار العمل) فالجملة بسيطة وليست مركبة .

٤٣- انظر : لطيفة النجار، منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، ص ٥٧.

٤٤- يقترح النحو الوظيفي بنية تفرد مستوى تمثيليا مستقلا للوظائف التداولية ... بالإضافة إلى المستويين التمثيليين المخصصين للوظائف الدلالية والوظائف التركيبية. وبنية النحو، كما تقترحها نظرية النحو الوظيفي، تشتمل على ثلاث مستويات :

- مستوى الوظائف الدلالية : كوظائف : المنفذ، والمتقبل، والمستقبل، والمستفيد ...
- مستوى الوظائف التركيبية : كوظيفتي : الفاعل، والمفعول .
- مستوى الوظائف التداولية : كوظيفة المبتدأ، ووظيفة المحور، ووظيفة الذيل ...

انظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية ص ١١، ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص١٠

٤٥- ويشمل : الصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، والمؤكد والمؤكد، والبدل والمبدل منه .

٤٦- أي : العدد المركب والظرف المركب والحال المركبة، فهذه مركبة من جهة اللفظ فقط، والاسم الثاني تضمن معنى الحرف ؛ فالأصل –مثلا– في " أحد عشر " : أحد وعشرة، فحذفت الواو من اللفظ، والمعنى على إرادتها . أما المركب المزجي، نحو : حضرموت، فهو مركب من جهة اللفظ والمعنى، وهذا أصله الواو أيضا حذفت من اللفظ و لم ترد من جهة المعنى ؛ ولذا يعد اسما واحدا، و لم ينفرد الاسم الثاني بشيء من معناه، فكان كالمفرد غير المركب.انظر فيما سبق : شرح المفصل :١١٢/٤

٤٧- ص ٥٠٠ – ٥٦٥.

٤٨-انظر: عبد الحميد السيد، التحليل النحوي عند ابن هشام الأنصاري .

٤٩- يردعني : يكفيني . نكسي : النكس عودة المرض بعد النقه، ويحدث ذلك من شدة الحزن . الكريهة : الحرب أو الشدة . الخلس : السلب. عان : أسير . طارق : الآتي ليلا .

٥٠-عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي، الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، ص ١٤٣.

٥١- يرى الرضي في كافيته (الكافية في النحو ٢/٢٥٩) أن كون الجملة ذات محل إعرابي لا يعني أنها تقدر ضرورة بالمفرد، وإنما يعني أنها وقعت موقعا يصح وقوعه فيه، ومثل لذلك بجملة الخبر والصفة والحال وغيرها .

وانظر : لطيفة النجار، منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، ص ١٤٣.

٥٢- عبد السلام المسدي ومحمد الطرابلسي، الشرط في القرآن، ص ١٣٦

٥٣- انظر : محمود نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص ١٤٥.

٥٤- انظر : السابق ص ١٤٧.

٥٥- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق وتقديم محمد الداية وفايز الداية، ص ٢٢٤-٢٢٥.

٥٦- محمد الخطابي، لسانيات النص، ص ١٠٣.

٥٧-الجملة المفسرة ثلاثة أقسام : مجردة من حرف التفسير، كما في الآية، ومقرونة بـ "أي" أو "أن"، نحو قول الشاعر : وترميني بالطرف أي أنت مذنب .وقوله تعالى (وأوحينا إليه أن اصنع الفلك).

٥٨- انظر : ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب، ص ٥٢٢.

٥٩- انظر : محمد الخطابي، لسانيات النص، ص ١١٤.ولم أهتد إلى قائله،وهو من شواهد مغني اللبيب ص٥٥٧ .

٦٠- ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب، ص ٥٠٦.وينسب الشاهد أيضا إلى حويرثة بن بدر، انظر:مغني اللبيب ص ٥٠٦، والخصائص ١/٣٣١.

٦١- الجمل المتلازمة هي الجمل الموسومة ببنية نحوية ودلالية تامة، والمخصوصة بضرب من الإيقاع والتلازم بين مكوناتها النحوية الراجعة إلى عملية اسنادية واحدة ينجزه المتكلم والسامع، وذلك في جمل : الاستفهام والشرط والجملة الظرفية والاستثناء والنداء والتعجب والقسم.

انظر : المنصف عاشور، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، ص ٢٠٥، وابن يعيش، شرح المفصل ٨/١٥٦.

٦٢- انظر السابق :ص٢٢٨.

٦٣- الشريف الجرجاني، التعريفات، (مادة نظم).

٦٤- المنصف عاشور، بنية الجملة العربية، ص ٢٤

٦٥- زعم بعض المحدثين أن القدامى جروا في دراستهم على تغليب ظاهرة الإعراب، وأنهم شغلوا بهـــا عمـــا عداها من القرائن ؛ فأدخلوا بذلك الضيم على جوانب أخرى، انظر – مثلا – : مـــهدي المخزومـــي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٣٣، محمد الشاوش، ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة، ص ٢٣٩.

٦٦- من حيث التكلم والخطاب والغيبة، والإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير .

٦٧- انظر : تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٠٥ وما بعدها .

٦٨- انظر : عبد الحميد السيد، التحليل النحوي عند ابن هشام الأنصاري، ص ٤٧-٥٣.

٦٩- نهاد الموسى، الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، ص ١٥٢.

٧٠- انظر مثلا : الكتاب لسيبويه (تحقيق هارون) : ١/١٤١، ١/١٥١، ١/٢٥٤،٢/٦٩/٨٠،..